جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت /كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم العلوم التربوية والنفسية
الدراسات العليا /دكتوراه

كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

مادة التعلم والتعليم/ الدكتوراه

محاضرة الكترونية بعنوان

العملية التعليمية ومكوناتها المنظومية

اعداد
ا. د. اوان كاظم عزيز

تخصص علم النفس التربوي

للعام الدراسي ٢٠٢٥-٢٠٢٦

العملية التعليمية ومكوناتها المنظومية

– ماهية العملية التعليمية وأبعادها الفلسفية والتحليلية

تعتبر العملية التعليمية نشاطاً إنسانياً وحضارياً بالغ التعقيد والأهمية، وهي تمثل الركيزة الأساسية التي تبنى عليها المجتمعات وتتطور من خلالها الأمم .إنها ليست مجرد آلية ميكانيكية لنقل المعارف والعلوم من جيل إلى جيل، بل هي منظومة حيوية متكاملة تهدف إلى صياغة الشخصية الإنسانية بأبعادها المعرفية، الوجدانية، والحركية .وقد حظي العلم والتعلم بمكانة رفيعة في أرفع النصوص الإنسانية والشرعية، حيث يتجلى ذلك بوضوح في الرؤية الإسلامية للوجود والمعرفة.

»اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْأInstانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ«

)القرآن الكريم، سورة العلق(

تؤكد هذه الآيات الكريمة المقررة في فجر الرسالة الإسلامية أن التعليم مرتبط بكرامة الإنسان ووجوده، وأن أداة القلم والكتابة هي وسيلة التدوين والانتقال المعرفي التراكمي .ومن هذا المنطلق الفلسفي، تباينت وجهات نظر العلماء والمفكرين في صياغة تعريفات اصطلاحية دقيقة تحيط بجميع جوانب هذا النشاط التفاعلي الإنساني.

أولاً :التعريف التحليلي للعملية التعليمية) نموذج هاف ودونكان(Hough & Duncan

من أبرز المحاولات الأكاديمية لتفكيك العملية التعليمية وفهم سياقها البنيوي، التعريف التحليلي الذي اقترحه الباحثان) هاف ودونكان .(Hough & Duncan حيث ينظر هذان العالمان إلى العملية التعليمية على أنها نشاط ديناميكي منظم يتضمن أربع مراحل أساسية متسلسلة ومترابطة وظيفياً، ولا يمكن فصل إحداها عن الأخرى دون الإخلال بسلامة المنظومة التدريسية كاملة .وتتمثل هذه المراحل فيما يلي:

.1المرحلة التنظيمية :(Planning Stage) وهي مرحلة التخطيط المسبق وبناء الاستراتيجيات، ويتم فيها بدقة تحديد الغايات الكبرى، والأهداف التعليمية العامة والخاصة، واختيار الوسائل والمصادر الملائمة لتحقيق تلك الأهداف بناءً على تحليل خصائص المتعلمين.

2. **مرحلة التداخل أو التنفيذ (Intervention Stage):** وتشمل التطبيق العملي الفعلي داخل حجرة الدراسة) أو البيئة التعليمية(، حيث يتم تطبيق الاستراتيجيات والطرائق المقترحة، وإنجاز التقنيات التربوية المتنوعة، وإدارة التفاعل الصفي المباشر بين المعلم والمتعلم.

3. **مرحلة تحديد وسائل القياس (Measurement Stage):** وهي المرحلة المخصصة لبناء وأدوات وأساليب القياس العلمي والاختبارات لجمع البيانات الكمية والكيفية، وقياس النتائج المحققة بدقة وتحليل تلك البيانات إحصائياً وتربوياً لمعرفة مدى تحقق السلوك المستهدف.

4. **مرحلة التقويم الشامل (Evaluation Stage):** وتعنى بتقويم جميع مراحل العملية التعليمية السابقة واللاحقة، وذلك بامتحان مدى انسجام الأهداف الموضوعة مع الأنشطة المنفذة، وقياس فاعلية النشاط التعليمي ككل، ومن ثم إصدار أحكام قيمية واتخاذ قرارات تحسينية وتصحيحية.

ثانياً :المنظور التشاركي للعملية التعليمية) تعريف محمد سعيد أبوطالب(

في سياق متصل، قدم الأستاذ الدكتور محمد سعيد أبوطالب رؤية متميزة للعملية التعليمية تركز على الجانب الإنساني والتفاعلي المشترك .فقد عرّفها بأنها» :عبارة عن نشاط اجتماعي وتربوي واعي يسهم به كل من المعلم والمتعلم، بحيث يقع عبء تعليم المعارف من قبل المعلم واستيعابها وتعلمها من قبل المتعلم، ويتم ذلك بصيغة آنية متوازية ومستمرة.«

وينطوي هذا التعريف على أبعاد بالغة الأهمية في الفكر التربوي الحديث، حيث يقرر ما يلي:

- **تجاوز الدور التقليدي للمعلم** :إن نشاط المعلم لا يقتصر فقط على الإلقاء والتلقين وصهر المعلومات في عقول الطلاب، بل يتعداه إلى أدوار أرقى تتمثل في تنظيم العمل المستقل للمتعلمين، وتوجيه مساراتهم البحثية، وتقديم الإرشاد والدعم الأكاديمي والنفسي.

- **إيجابية المتعلم وتفاعله** :يتحول المتعلم من متلقٍ سلبي للمعلومة إلى شريك فاعل وعنصر أساسي في إنتاج المعرفة واستيعابها وتطبيقها.

- **الشمولية في التنمية البشريّة** :إن الغاية النهائية للعملية ليست شحن الذاكرة، بل الإشراف والتقويم والتدريب المستمر للقدرات العقلية) المعرفية(، والأخلاقية والوجدانية، والجمالية والحسية والحركية للمتعم، بما يضمن بناء إنسان متكامل متوازن.

ويتكامل هذا المنظور مع ما ذهب إليه الدكتور فاخر عاقل في أبحاثه، حيث يرى أن التعليم في جوهره هو» العملية المخططة والمنظمة بعناية التي تؤدي بشكل مباشر ومقصود إلى تمكين المتعلم من الحصول على الاستجابات المناسبة، والمواقف الملائمة، من خلال استثارة فاعليته ونشاطه الذاتي في المواقف التعليمية المختلفة التي ينظمها ويشرف عليها المعلم«، مما يضمن تعديل السلوك وتطوير الخبرة الحياتية للمتعلم بشكل دائم.

-بنية العملية التعليمية ومكوناتها المنظومية والتفاعلية

أجمعت الأدبيات التربوية والدراسات المنهجية المعاصرة على أن العملية التعليمية لا يمكن فهمها كأجزاء معزولة، بل يجب أن تُدرس كمنظومة متكاملة (System) تتألف من مكونات حيوية يؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به .وقد لخص خبراء التربية والتدريس هذه المكونات من خلال الإجابة العلمية الوافية عن أربعة تساؤلات جوهرية يدور حولها أي موقف تعليمي:

السؤال الجوهري	المكون المقابل في العملية التعليمية	المعنى التربوي والوظيفي للمكون
1.لماذا نتعلم؟	الأهداف التعليمية(Objectives)	تحديد الغايات والمرامي والتغيرات السلوكية المراد إحداثها لدى المتعلم بعد مروره بالخبرة التعليمية.
2.ماذا نتعلم؟	المحتوى التعليمي(Content)	المعارف، والمهارات، والقيم، والخبرات المنظمة التي يتم اختيارها وتحليلها لتضمينها في المنهج الدراسي.
3.كيف نتعلم؟	الطرائق، الأنشطة، والوسائل (Methods & Media)	الاستراتيجيات التدريسية، والأنشطة الصفية واللاصفية، والتقنيات التربوية المستخدمة لنقل وتسهيل المحتوى.
4.هل تم التعلم؟	التقويم التعليمي(Evaluation)	العملية المنهجية التي تقيس مدى تحقق الأهداف، وتكشف عن مواطن القوة والضعف لتقديم معالجة تشخيصية.

تحليل المنظومة :من النسق الخطي التقليدي إلى النسق المنظومي المتفاعل

تاريخياً، كان يُنظر إلى العملية التعليمية وفقاً لـ) النسق الخطي العمودي(، حيث تبدأ بتحديد الأهداف، ثم اختيار المحتوى، يليه تحديد الطرائق والوسائل، وينتهي الأمر بعملية التقييم كخطوة أخيرة ونهائية لتقسيم الطلاب وتصنيفهم .إلا أن هذا المنظور الاستاتيكي واجه انتقادات واسعة من علماء المناهج؛ لأنه يغفل التغذية الراجعة المستمرة ويجعل من التقويم مجرد أداة لإصدار الأحكام الختامية دون تصحيح المسار أثناء العمل.

وبناءً على ذلك، استقر الفكر التربوي الحديث على) النسق المنظومي المتكامل (الموضح في النماذج المتقدمة لعلم التدريس .في هذا النسق التفاعلي، لا توجد علاقة خطية ذات اتجاه واحد، بل هي علاقة دائرية شبكية تبادلية، حيث يقع كل عنصر من العناصر الأربعة في مركز تفاعلي يؤثر في بقية العناصر ويتأثر بها في آن واحد:

- **الأهداف** تحدد طبيعة المحتوى وتوجه اختيار الطرائق والوسائل، وفي الوقت نفسه فإن نتائج التقويم قد تدفع المعلم إلى إعادة صياغة الأهداف وتعديلها إذا تبين عدم واقعيتها.
- **المحتوى** يشترط استخدام طرائق تدريسية معينة) مثل المعامل في العلوم، أو الحوار في الفلسفة(، والتقويم يكشف عن مدى ملاءمة المحتوى وقدرة الطلاب على استيعابه.
- **الطرائق والوسائل** تتأثر بطبيعة المادة وبمستوى الأهداف، وهي الأداة المحققة للتعلم، والتقويم يوضح مدى كفاءة المعلم في اختيار وتطبيق هذه الطرائق.
- **التقويم** لم يعد مجرد نهاية مطاف، بل هو عملية مستمرة) قبلي، تكويني بنائي، ختامي (تكشف عيوب النسق بالكامل، فهو وسيلة تشخيصية علاجية تضمن التطوير الذاتي المستمر للمنظومة التعليمية.

– الأهداف التعليمية وصياغتها السلوكية) نظرية روبرت ماجر(Mager

تعد الأهداف التعليمية نقطة الانطلاق الأساسية والموجه الحقيقي لكل جهد تربوي يبذل داخل المؤسسة التعليمية، فمن لا يعرف أين يذهب، لن يعرف أبداً أي طريق يسلك .وتمثل الأهداف التغيرات الإيجابية المرغوب إحداثها في سلوك المتعلمين، ومواقفهم، وتفكيرهم بعد انتهاء عملية التدريس.

-- الشروط والمكونات الرئيسية للهدف السلوكي حسب نموذج' ماجر'

وضع العالم الأمريكي) روبرت ماجر صياغة دقيقة ومقننة لكيفية بناء الهدف السلوكي الإجرائي القابل للملاحظة والقياس والمحاكمة العلمية .وبحسب' ماجر'، يتكون الهدف السلوكي المتكامل والمضبط تربوياً من ثلاثة مكونات أساسية:

.1الأداء أو العمل :(Performance) وهو السلوك الظاهري المتوقع من المتعلم القيام به وإظهاره لإثبات حدوث التعلم .ويشترط في هذا المكون أن يصاغ باستخدام) فعل سلوكي إجرائي واضح (يركز على نشاط المتعلم لا على نشاط المعلم، وأن يكون الفعل قابلاً للملاحظة المباشرة والقياس، والابتعاد تماماً عن الأفعال الغامضة والمبهمة.

المعادلة التركيبية لصياغة الأداء هي] :أن + فعل سلوكي إجرائي + المتعلم + مرجع المحتوى[
مثال) :أن يذكر المتعلم مكونات الخلية الحيوانية.(

.2المعيار أو مستوى الأداء :(Criterion) وهو المكون الذي يحدد بدقة وبشكل كمي أو كيفي الحد الأدنى المقبول للأداء، والذي في ضوئه يتم الحكم على الطالب بالنجاح أو الإتقان .وقد يكون المعيار زمنياً، أو نسبة مئوية، أو دقة عددية.
مثال على المعيار ...) :بدقة لا تقل عن(90% ، أو ...) في زمن أقصاه خمس دقائق(، أو ...) خمسة مكونات صحيحة على الأقل.(

.3الظروف والشروط :(Conditions) وهي الظروف، والسياقات، والمحددات التي يؤدي المتعلم السلوك في ظلها، وتتضمن الأدوات المسموح باستخدامها أو الممنوعة، والمصادر المتاحة.
مثال على الشروط) :باستخدام المجهر الضوئي(...، أو) دون الاستعانة بالكتاب المدرسي(...، أو)بالاعتماد على الخريطة الصماء.(...

--تصنيف مستويات المجال الإدراكي والمعرفي) هرم بلوم(Bloom

حظي بنيامين بلوم (Benjamin Bloom)ومساعدوه بصياغة تصنيف هرمي شهير يترتب فيه السلوك المعرفي تصاعدياً من البساطة إلى التعقيد في ستة مستويات متدرجة، بحيث يعتمد كل مستوى في وجوده على تمكن المتعلم من المستوى الذي يسبقه:

.1مستوى المعرفة والتذكر :(Knowledge) وهو القاعدة الأساسية للهرم، ويعني قدرة المتعلم على استدعاء وتذكر وتعرف المعلومات، والحقائق، والمصطلحات، والقوانين كما قدمت له أثناء الدراسة دون تغيير .ومثال ذلك :أن يذكر المتعلم عواصم الدول العربية، أو يعدد القوانين الفيزيائية الأساسية لحركة الأجسام.

.2مستوى الفهم والاستيعاب :(Comprehension) ويعني أن يكون المتعلم مدركاً ومستوعباً لمعنى المادة التعليمية، وقادراً على صياغتها وترجمتها بأسلوبه الخاص، وعرض الأفكار وتفسيرها، والتنبؤ بالاتجاهات المستقبلية .ومثال ذلك :أن يشرح المتعلم بلغته الخاصة العلاقة بين المناخ والمحصول الزراعي، أو يفسر ظاهرة الاحتباس الحراري بأسلوبه وبأمثلة بديلة.

.3مستوى التطبيق :(Application) وهو قدرة المتعلم على استخدام ما تعلمه من مفاهيم وقوانين ونظريات وحقائق مجردة وتطبيقها عملياً في مواقف جديدة ومغايرة للمواقف المألوفة داخل الصف .ومثال ذلك :أن يطبق الطالب قاعدة النحو) فاعل، اسم فاعل (في إنشاء جملة صحيحة، أو يحل مسألة فيزيائية جديدة بالاعتماد على قانون نيوتن الثاني.

.4مستوى التحليل :(Analysis) ويتمثل في قدرة المتعلم على تجزئة المادة التعليمية المعقدة إلى عناصرها ومكوناتها الأولية، والتعرف على العلاقات القائمة بينها وفهم التنظيم البنائي لتلك المادة .ومثال ذلك :أن يحلل الطالب قصيدة شعرية مستخرجاً ما فيها من محسنات بديعية وصور بلاغية، أو يحلل أسباب سقوط دولة تاريخية إلى عوامل سياسية واقتصادية.

.5مستوى التركيب :(Synthesis) ويشير إلى قدرة المتعلم على تجميع الأجزاء، والعناصر، والمفاهيم الفرعية لبناء وتكوين كل متكامل، أو ابتكار خطة عمل جديدة، أو صياغة منظومة معرفية لم تكن موجودة من قبل .ومثال ذلك :أن يكتب الطالب مقالاً تعبيرياً متكاملاً وشاملاً يجمع فيه أفكاراً متعددة، أو يصمم تجربة مخبرية جديدة لإثبات فرضية علمية معينة.

.6مستوى التقويم :(Evaluation) وهو قمة الهرم المعرفي وأعلى العمليات العقلية تعقيداً، ويعني قدرة المتعلم على إصدار أحكام كمية أو كيفية حول قيمة الأفكار، أو الأعمال، أو المناهج، أو الحلول بالاستناد إلى معايير ومحكات داخلية أو خارجية واضحة ومحددة .ومثال ذلك :أن يصدر المتعلم حكماً نقدياً مدعماً بالأدلة على فاعلية سياسة اقتصادية، أو يقيّم خطة تدريسية مقترحة مبيناً نقاط القوة والضعف فيها.